





الأقلام

تصفح العدد

عنوان المقالة: مع الوائلي والسريح في وقفتهما معي

بقلم: نوري جعفر

رقم العدد: 4

تاريخ الإصدار: 1 أبريل 1977

← العودة لمقالات العدد

مع الوائلي والسريح في وقفتهما معي

د. فوزي جعفر

مع الوائلي والسريح في وقفتهما معي

ذكر الزميلان صبري هادي الوائلي وعبد العباس جواد السريح في عدد تشرين الاول من مجلة الاقلام ان الاراء التي عرضتها بصدد الذكاء «تتهاوى وتتهافت» عندما اتناول موضوع الابتكار . ونسبا الي الوقوع بالاضطراب عند بحث موضوع الابتكار وكوني ايضاً اعزو الاراء التي اتحدث عنها الى بافلوب تارة والى وجهة نظر الفلسجية الحديثة تارة أخرى .

واستفسرا عما «اذا كان التطور في مستوى المراكز اللغوية والحسية فطرياً او مكتسبا ؟» وعن «صاحب هذا الرأي وعن علاقته بالبافلوفية» وان «الاضطراب والتشويش طبعا احكامي» بشكل يدعو الى الاسف وان الاضطراب يقع احيانا في نص واحد ويستشهدان بالنص التالي : «كل هذا يجب الا يفسر عن انه نكران لمبدأ الفروق الفردية التشريحية والفسلجية . . ولكنه يردعنا عن المبالغة في تقدير قيمة تلك الفروق وبخاصة اذا تذكرنا ان الاساس المخي للقدرات العقلية متماثل لدى جميع الاشخاص الاسوياء» وهما يعزوان العامل في ذلك الاضطراب الى كوني اسعى «الى اخضاع النزعة البافلوفية» الى متطلبات لا تستطيعها واسحبها الى اغراض لا صلة لها بها» ولذلك اتي «الى التكرار بشكل متعسف لايطاق» و«ابتعد عن النهج العلمي ولااستطيع اقناع القارىء بالآراء التي اعرضها .وان منهجي في عرض البافلوفية «اوقع كارثة بمبدأ المساواة العقلية بين الافراد» و «ان تناول هذه الموضوعات يحتاج الى كثير من الدقة والافضل ان تترجم النصوص الاصلية»

اود قبل ان ارد على الملاحظات المشار اليها ان الخص جوهر القضية موضوع النقاش : الذكاء بنظر بافلوف وظيفة الجهاز العصبي المركزي كالهضم الذي هو وظيفة جهاز الهضم . اي انه ليس اسما لشيء لا جسمي سحري لا مادي يرثه الافراد بمقادير متفاوتة عن طريق الوراثة البايولوجية كما يزعم علماء النفس الغربيون بل هو وظيفة Fumction او عملية Process . وهذا هو ركنه الجسمي المادي . وهو متماثل (وليس متساويا) كماظن الزميلان لدى جميع الافراد من البيئة ويختلف باختلافها . معنى هذا ان الناس من تكون (لا متساوياً) الاسوياء . اما محتواه فهو مكتسب من البيئة ويختلف باختلافها . معنى هذا ان الناس متماثلون متساوون في خصائصهم العصبية لاسيما تركيب لغتهم التي هي الاساس المادي (الجسمي) لحياتهم العقلية . وان الفروق الفردية الكبيرة الموجودة بالفعل بينهم في تفاوت مستوياتهم الفكرية فمردها الى اختلاف بيئاتهم والى اختلافهم ايضا في مدى استثمار رصيدهم الدماغي التماثل الى حده الاقص في الموضوعات التي تستثير اهتمامهم .وما ينطبق على وعلى الابتكار . وقد شرحنا باسهاب الفروق الفردية الموجودة بين الناس في انماط اجهزتهم العصبية المركزية في الفصل الرابع ص ٣٥٣ ـ ٤٠٦ من كتابنا : طبيعة الانسان في ضوء فسلجة بافلوب . وهي لاتتنافى بالطبع مع تماثل تركيب الجهاز العصبي المركزي لدى جميع الافراد بل تتنافى مع التساوي الذي لم نقل به وقد التبس الامر على الزميلين . وليس في عرضنا اياه أي اضطراب او تناقض . وعبارة دعنا عن المبالغة في تقدير قيمة تلك الفروق» لا تتناقض مع عبارة «تماثل الجهاز العصبي المركزي» بل تسندها وهي لاتتنافى مع الفروق الفردية بل واما القول بانني اضخم البافلوفية في امور لاصلة لها بها واني الى التكرار والتعسف وابتعد عن الاسلوب العلمي فحبذ لواعاد الزميلان النظر فيه . وهو قول غريب حقا .فالذكاء والقدرات العقلية الخاصة والابتكار هي محور البافلوفية وميدانها . واما التكرار فمرده زيادة الايضاح ومع ذلك فيبدو اني اخفقت فيه على الاقل بالنسبة لهما . واما وصفي بالابتعاد من الاسلوب العلمي فارجو ألا يكون من قبيل التجني . ويجري هذا المجرى اتهامي بالتقصير في اقناع القارىء بوجهة نظري مع اني لا اسعى الى الاقناع بقدر سعيي الى توضيح وجهة نظر علمية وانسانية حجبها الاستعمار والعهد الملكي المباد واشاع بدلها نزعات لا علمية ولا انسانية . واما قولهما بان منهجي «وقع كارثة بمبدأ المسواة العقلية للافراد» فمرده الالتباس الذي وقعا قسرا «التماثل» بالمساواة وهو غير صحيح . وانا معهما في ان تناول مثل هذه الموضوعات يحتاج الى كثير من الدقة راجيا لهما مزيدا منهما. وترجمة النصوص العربية تتطلب منهما الالمام باللغة الاجنبية المترجم عنها وبالكتاب الاجنبي الذي يحمل النص . واما قولهما انني اعزو الاراء المذكورة الى بافلوف تارة والى الفسلجة الحديثة تارة اخرى وكانهما شيئان مختلفان في حين انهما شيء واحد فذلك تمييز لهما عن الفسلجة القديمة التي انتشرت في القرن الماضي : آراء فوند وهيلمهولتز ومولد وهيرنيك في المانيا واراء هنري هيدفي الكثيرة وكلود برنارد في فرنسة واما استفسارهما عما اذا كان تطور مستوى المراكز اللغوية والحسية فطريا او مكتسبا فقريب حقا لان هذا التطور فسلجي : وهو فطري «لا شك . . . واما (صاحبه) أو صاحبته بعبارة أدق فهي الاستاذة السوفيتية كالاماوفا وقد نشرته مترجما الى الانكليزية .

وهو وثيق الصلة بالبافلوفية لانه ياخذ منطلقة من معطياتها النظرية .

مع اطيب التمنيات للزميلين ولمجلة الاقلام